

الأخلاق الإسلامية وأثرها في توحيد صف المسلمين

الدكتور : علاوي مزهر مزعل المسعودي
جامعة أهل البيت (عليهم السلام) - كربلاء
كلية الشريعة الإسلامية

المقدمة:-

بسم الله الرحمن الرحيم :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله نبي الهدى والرحمة أبي القاسم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). تناولت في صفحات هذا البحث موضوع الأخلاق الإسلامية ودورها في إيجاد الوحدة والإخوة بين المسلمين ، ولعل الدافع لاختيار هذا الموضوع هو الحاجة الماسة إلى الأخوة وجمع الكلمة ، ووحدة الصف بين أبناء المجتمع الإسلامي لما نلاحظه من التفكك والانحلال اللذين يسودان معظم الشعوب الإسلامية في هذا الزمان ، وعلية فان موضوع الأخلاق التي يوصي بها الإسلام تدعو إلى التسامح وجمع الكلمة ونبذ الفرقة والطائفية ، ومواجهة كل من يعمل على إيجاد الفتنة الطائفية بين المسلمين ومحاربة كل القوى التي تحاول النيل من الإسلام ووحدة المسلمين ، وخصوصا إذا ما علمنا عمق المؤامرة التي تحوكمها القوى الامبريالية والغربية في هذه الفترة ضد الدين الإسلامي والمسلمين ، فقد أحست الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية بمدى خطورة الدين الإسلامي على سياستها ، فعملت على نشر سياسة العنف في الأوساط الإسلامية بمساعدة عملائهم الذين يدعون الإسلام وهم بعيدون كل البعد عن تعاليم الدين الإسلامي ومعتقدات المسلمين الحقيقية ، فقد عملت الولايات المتحدة الأمريكية على غزو بعض الدول الإسلامية كآفغانستان والعراق وأخذت تبث الفرقة والنعرات الطائفية بين أبناء الشعوب الإسلامية وخاصة في العراق بعد أن كان العراقيون وعلى مدى قرون من الزمان يعيشون كشعب مسلم بعيد عن الطائفية والعنجهية ، وان ما يحدث في بلادنا الآن ليس من حضارة العراقيين وأدائهم بكل طوائفهم ، بل هو دخيل عليهم جاء به الغزو الأجنبي وهذا ما يثبت الوضع الحالي في العراق حيث أن القوات العراقية ألقت القبض على الكثير من العناصر الإرهابية غير العراقية ، وقد تسللت إلى العراق من أجل إثارة الفتن في بلادنا وتمزيق وحدة الصف بين العراقيين . ولمعالجة ذلك علينا جميعا أن نقف بكل مالدنا من القوة والحزم للتصدي لمثل هذه المؤامرات التي تستهدف أمن بلادنا وسلامة أطفالنا وعوائلنا . وذلك الموقف لا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق الوحدة والترابط والتآلف ونبذ الخلافات الطائفية فكلنا في بلادنا عراقيين نعبد تربة هذا الوطن ونقدم له كل مانملك لضمان أمنه واستقراره . وقد قسمت بحثي هذا إلى ثلاثة فصول تناولت في الفصل الأول منها معنى الأخلاق في اللغة والاصطلاح وأهمية التمسك بالأخلاق الإسلامية التي أوصى بها الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز ، وهناك الكثير من الآيات القرآنية التي تحث المسلمين على التحلي بأفضل الأخلاق وأحسنها وكذلك ماورد عن النبي الكريم محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) من أحاديث توصي المسلمين بحسن الخلق والتماسك وتقويم بعضهم البعض لأنهم خير أمة أخرجت للناس . أما الفصل الثاني فقد كان الحديث فيه عن حماية العرب قبل الإسلام وعصبيتهم فقد كان المجتمع العربي قبل الإسلام مجتمع قبلي تسود فيه روح الولاء للقبيلة فقط ولا يوجد قانون يجمع أبناء المجتمع جميعا ، ولكل قبيلة طبائعها وعاداتها وتقاليدها الخاصة بها تختلف عن الأخرى ، لذلك تجد إن الثار والقتال والاعتداء على حقوق الآخرين أمر منتشر في كل أرجاء الجزيرة العربية دون وجود قانون ينظم ذلك ويحكم المجتمع . أما الفصل الثالث فقد كان الحديث فيه عن أخلاق المجتمع المسلم وما جاء به الإسلام من تعاليم دينية تحرم القتل وسفك الدماء والاعتداء على الآخرين وسلب حقوقهم ، وتوصي هذه التعاليم بضرورة جمع الكلمة ووحدة الصف ونبذ الفرقة والطائفية والاحتكام في كل صغيرة وكبيرة إلى القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، إذ قال النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إن أكرمكم عند الله اتقاكم . وقد اعتمدت على عدد من المصادر التاريخية واللغوية وكتب التفسير والحديث وعدد من المراجع الحديثة في كتابة وإعداد هذا البحث . كان من أهم الكتب التاريخية كتاب البيان والتبيين للجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) وكتاب انساب الأشراف للبلاذري (ت: ٢٧٩هـ) وكتاب تاريخ الأمم والملوك للطبري (ت: ٣١٠هـ) ، أما الكتب اللغوية فقد كان أهمها كتاب لسان العرب لأبن منظور (ت: ٧١١هـ) وكتاب القاموس المحيط للفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ) أما بالنسبة لكتب الحديث فقد كان أهمها كتاب الصحيح للبخاري (ت: ٢٥٦هـ) وكتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيتمي (ت: ٨٠٧هـ) أما كتب التفسير فقد استفدت من كتاب مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي (ت: ٥٦٠هـ) . وقد كان للمراجع الحديثة نصيبها أيضا في رقد هذا البحث بالمعلومات وكان أهمها كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام للأستاذ الدكتور رشيد عبد الله الجميلي وكتاب أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان وكتاب حديث التقریب للطريفي . نسأل الله عز وجل أن يمن على بلاد المسلمين بالأمن والاستقرار ووحدة الكلمة والصف والخزي والعار لأعداء الإسلام والذين يحاولون تشويه صورة هذا الدين الحنيف بغضا بأهله وحقدا عليهم.

الفصل الأول:

معنى الأخلاق لغةً واصطلاحاً

الخلق في اللغة بضم اللام وسكونها السجية والطبع والمروءة والدين^(١) وخلقته تخلقاً طيباً فتخلق به، والمخلوق التام الخلق المعتدل، وخالفهم عاشرهم بخلق حسن^(٢) ويقال: مخلقة وغير مخلقة، إذ إن الناس خلقوا على ضربين منهم تام الخلق، ومنهم خديج ناقص

(١) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ) القاموس المحيط، طه (مصر - ١٩٣٨م) مادة خلق/٤/٣٢٦.

غير تام، ورجل خليفاً بين الخلق تام الخلق معتدل والأنثى خليق وخليفة ومختلقة، ورجل خليق ومختلق، حسن الخلق^(٣) وجاء في الحديث الشريف قول الرسول الكريم ﷺ «أن الله كريم يحب الكرم ومعالي الأخلاق ويبغض سفاسفها»^(٤) وقد عرفت أيضاً على إن الخلق بضم اللام وسكونها هي الطبع والدين والسجية^(٥). والجمع أخلاق لا يكسر على ذلك والخلق (بسكون اللام)، والخلق (بضم اللام) السجية وهو الدين والطبع، وحقيقته انه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها. وفي قوله تعالى «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ»^(٦) هنا في هذه الآية المباركة يتبين لنا خلق النبي الكريم محمد ﷺ وبأن الله يخاطب النبي فيقول يا محمد انك متخلق بأخلاق الإسلام وعلى طبع كريم وحقيقته الخلق ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب^(٧) ويقال خالق المؤمن وخالق الفاجر وفي الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ «أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق»^(٨) وفي قول آخر يتحدث فيه الرسول ﷺ فيقول «من أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق»^(٩). وكذلك في قول للرسول الكريم ﷺ «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»^(١٠) وكذلك جاء في ذم سوء الخلق أحاديث كثيرة، وعن عائشة زوجة النبي ﷺ كان خلقه القرآن، أي كان متمسكاً به وبأدابه وأوامره ونواهيه وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن واللطاف.

وقال سالم بن واصبة في قصيدة له:

عليك بالقصد فيما أنت فاعله

إن التخلق يأتي دونه الخلق^(١١)

خالق الناس، عاشرهم على أخلاقهم، وقال آخر:

وخالق الناس بخلق حسن

لا تكن كلباً على الناس يهر^(١٢)

والخلق: الكذب، وخلق الكذب والافك يخلقه واختلقه واقتراه ابتدعه^(١٣).

أوصى الرسول الكريم محمد ﷺ المؤمنين بمحاسن الأخلاق والتخلي بأفضلها لتزين بها صورة الإنسان فهو ﷺ في جانب من دعائه يقول «اللهم اهديني لأحسن الأخلاق فانه لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت»^(١٤) وفي حديث آخر له ﷺ يقول «أن مكارم الأخلاق من أعمال أهل الجنة»^(١٥) ويقول أيضاً «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(١٦) والعرب إذا قالوا: فلان ابيض، وفلانة بيضاء فمعناه الكرم في الأخلاق لا لون الخلقة^(١٧).

وفي رواية قيل إن رسول الله ﷺ مر برجل له عكر* من أبل وغنم وبقر فاستضافه فلم يصفه، ومر بامرأة لها شويهاة قليلة فاستضافها فأضافته وذبحت له، فقال رسول الله ﷺ لمن معه، ألم تروا فلان مررنا به وله عكر من الإبل والغنم والبقر فاستضافناه فلم يصفنا ومررنا بهذه ولها شويهاة فاستضافنا فأضافتنا وذبحت لنا، إن هذه الأخلاق بيد الله عز وجل من شاء أن يمنحه منها خلقاً حسناً فعل^(١٨) أي إن الأخلاق منائح من عند الله يمنحها عز وجل من يشاء من عباده فان أراد بعبد خيراً منحه خلقاً صالحاً.

(٢) م.ن/ مادة خلق ٤/٣٢٦-٣٢٧.

(٣) م.ن/ مادة خلق ٤/٣٢٧.

(٤) ابن حجر، شهاب الدين أبي الفضل العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) فتح الباري بشرح البخاري، ط ١ (مصر- ١٩٥٩م) ٦٨/١٣؛ القرشي، عبد الله بن محمد أبو بكر (ت: ٢٨١هـ) مكارم الأخلاق، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، ط ١ (القاهرة- ١٩٩٠م) ص ١٩.

(٥) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور (ت: ٧١١هـ) لسان العرب (بيروت- ١٩٥٦م) مادة خلق/ ٦/ ١١٢.

(٦) القلم أية: ٤

(٧) الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت: ٥٦٠هـ) مجمع البيان في تفسير القرآن، محمد هاشم آلرسلولي وفضل الله الطباطبائي، تركه المعارف الإسلامية ٣٣٣/٩؛ ينظر: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) البيان والتبيين، تحقيق وشرح حسن السندوبي، ط ١ (القاهرة- ١٩٤٧م) ٥٢/٢.

(٨) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت: ٥٠٥هـ) أحياء علوم الدين (دمشق- لا، ت) ٤٣/٣؛ الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت: ٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحرير ابن حجر، ط ١ (القاهرة- ١٣٥٣هـ) ٢٣/٨؛ ابن حجر، فتح الباري، ٦٧/١٣.

(٩) الغزالي، إحياء علوم الدين، ٤٣/٣؛ ابن حجر، فتح الباري، ٦٧/١٣.

(١٠) الغزالي إحياء علوم الدين، ٤٣/٣؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ٢٦/٨.

(١١) المرزوقي، أبو علي احمد بن محمد بن الحسن (ت: ٤٢١هـ) شرح ديوان الحماسة، نشره احمد أمين وعبد السلام هارون، ط ١ (القاهرة- ١٩٥١م) القسم الثاني/ ص ٧١٠.

(١٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة خلق ٦/ ١٥.

(١٣) م.ن/ مادة خلق ٦/ ١١٨.

(١٤) الهيثمي، مجمع الزوائد، ٢١/٨؛ ابن حجر، فتح الباري، ٦٤/١٣؛ القرشي، مكارم الأخلاق، ص ١٩.

(١٥) الهيثمي، مجمع الزوائد، ٢١/٨؛ القرشي، مكارم الأخلاق، ص ١٩.

(١٦) ابن حجر، فتح الباري، ٦٩/١٣؛ القرشي، مكارم الأخلاق، ص ٢١.

(١٧) ابن منظور، لسان العرب، مادة خلق، ٤/ ٢٢١.

(*) عكر: بمعنى ازدهم، أي عنده من الازدهام والكثرة ويقال: اعتكر المطر: أي اشتد وكثر، وطعام معتكر أي كثير. وقيل العكرة، الكثير من الإبل أي ما فوق الخمسمائة من الإبل، والعكر جمع عكر وهي القطيع الضخم من الإبل (ابن منظور، لسان العرب، مادة عكر، ٧/ ١٩٢).

(١٨) القرشي، مكارم الأخلاق، ص ٢٥.

وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت لقد جاء الإسلام وفي العرب بضع وستون خصلة كلها زادها الإسلام شدة منها قري الضيف وحسن الجوار والوفاء بالعهد^(١٩) وفي الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ يصف أفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة فيقول ((ألا أخبركم بأفضل أخلاق أهل الدنيا وأهل الآخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك))^(٢٠) سأل عبد الله بن المبارك (*) الذي كان يكثر الجلوس في بيته فقيل له ألا تستوحش؟ قال كيف وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه فتعجب السائل من جوابه، وقال له يا أبا عبد الرحمن كيف هذا، قال أعني أنني أكثر من قراءة الحديث وافتخر بأخبار النبي الكريم ﷺ وأصحابه وخلفاؤه من بعده في آدابهم وأخلاقهم وشجاعتهم وكرمهم^(٢١) أي إن ذكر الحديث النبوي الشريف يعلم حسن الخلق ويهدي إلى أحسن الآداب، وكان الشعراء العرب يتغنون دائماً بأخلاق وآداب وكرم قومهم، فهذا شاعر يقول:

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه
خلق وجيب قميصه مرقوع^(٢٢)
وهذا شاعر يمدح قومه ويصف أخلاقهم وكرمهم وحمائيتهم لمن استجار بهم فيقول:
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا
أجابوا وإن أعطوا اطابوا واجزلوا
هم يمنعون الجار حتى كأنما
لجارهم بين السامكيين منـزل^(٢٣)

وسار اغلب الشعراء على هذا النهج في مدح السمات الخاصة بحماية الجار، فهذا شاعر يتفاخر بقومه إذ قال:

هم يمنعون الجار حتى كأنه
كثيـبة زور بين خافيتي نسر^(٢٤)

ويقول آخر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهبـت أخلاقهم ذهبوا

أما الأخلاق اصطلاحاً:

فقد عرّفها الغزالي، على أنها ((هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأعمال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية))^(٢٥) وعرفت الأخلاق على أنها عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة، سُميت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سُميت الهيئة خلقاً سيئاً، وإنما قلنا هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال باستمرار وبحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء، ما لم يثبت ذلك في نفسه وكذلك من تكلف السكوت عند الغضب بجهد أو روية لا يقال خلقه الحلم، وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل، أما لفقد المال أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل، وهو يبذل عبثاً أو رياء^(٢٦). وقد عرفت أيضاً تعريفاً مشابهاً يتسم بالوضوح فقيل في تعريف الأخلاق أنها ((مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس وفي ضوئها وميزاتها يحسن الفعل في نظر الإنسان ويقبح ومن ثم يقدم عليه أو يحجم عنه))^(٢٧). ويبدو لنا مما تقدم إن مستقر الأخلاق إنما هو داخل النفس الإنسانية ومن الواضح في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة أن الأخلاق هي تنظيم متكامل للسمات الإنسانية الشخصية التي أوصى بها الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم محمد (ﷺ) ومن الجدير بالذكر هنا التنويه إلى حقيقة ارتباط الأخلاق بمفهوم القيمة وأن التناسب بينهما هو تناسب ضروري لأن لهذا المفهوم الأثر العام والمباشر في تقويم الأخلاق وفي معياريتها المطلقة، فقد ورد ذكر القيمة في محكم التنزيل في قوله تعالى ((قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ

(١٩) ابن منظور، لسان العرب، مادة خلق، ١١٨/٦.

(٢٠) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ) صحيح البخاري (بيروت- ٢٠٠١م) ص ٨١١.

(*) عبد الله بن المبارك، وهو أبو عبد الرحمن الحنفي، توفي سنة ١٨١هـ كان من أكابر العلماء والمجتهدين من أئمة الإسلام وأعظم العارفين من مؤلفاته كتاب الجهاد لابن مبارك (النبهاني، يوسف بن إسماعيل (ت: ١٣٥٠هـ) جامع كرامات الأولياء، تحقيق إبراهيم عطوة، ط ١ (مصر- ١٩٦٢م).

(٢١) المقدسي، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (ت: ٦٦٥هـ) الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزبيق، ط ١ (بيروت- ١٩٩٧م) ٢٤/١.

(٢٢) السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن (ت: ٩١١هـ) تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط ١ (مصر- ١٣٧١هـ) ص ٢٤٩.

(٢٣) ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد ابن محمد، المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت: ٣٢٨هـ) العقد الفريد، تحقيق خليل شرف الدين، ط ١ (بيروت- ١٩٨٦م) ٨٢/١.

(٢٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٨٢/١.

(٢٥) إحياء علوم الدين، ٤٦/٣.

(٢٦) الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت: ٨١٦هـ) التعريفات، تحقيق إبراهيم اليباري، ط ١ (بيروت- ١٤٠٥هـ)، ص ١٣٦.

(٢٧) زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة (بغداد، لا، ت)، ص ٩٠.

فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ^(٢٨) والاستقامة في هذه الآية تعني لا تميلوا عن سبيله وتوجهوا إليه بالطاعة، كما يقال استقم إلى منزلك أي لا تعدل عنه إلى غيره^(٢٩) وجاء ذكر القيمة في قوله تعالى «فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ»^(٣٠) أي في الصحف التي لا يمسه إلا الملائكة المطهرون فيها كُتِبَ قيمة، أي مستقيمة عادلة غير ذات عوج تبين الحق من الباطل، وقيل مطهرة عن الباطل والكذب والزور وهو بهذا يريد القرآن^(٣١) ولذلك جاء في قوله تعالى «وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ»^(٣٢) وذلك يعني الدين الذي قدم لذكره وقوله «الدين القيمة» أي دين الكتب القيمة التي ورد ذكرها، وقيل دين الملة القيمة أي العادلة الفاضلة والشرعية القيمة، والقيمة جمع القيم، والقيم والقائم واحد والمراد بها دين القائمين لله بالتوحيد والإحسان والعدل بين الناس^(٣٣). والقيمة هي «صفة الشيء الذي تجعله موضوع تقدير»^(٣٤) وقد عرفت بأنها «طريقة في الوجود أو في السلوك يعترف بها شخص أو جماعة على أنها مثال يحتذى به»^(٣٥) وكما كانت القيم تثير في نفوسنا الاهتمام لا اعتبارات أخلاقية أو جمالية أو اجتماعية فإنها بالضرورة ستشكل منها، المثل العليا للأفراد^(٣٦) وقيم الأمر مقيمة. وأمر قِيَمَ: مستقيم وفي الحديث الشريف «أتاني ملك فقال أنت قيم وخلقك مستقيم حسن»^(٣٧) وفي الحديث عن القيم قال رسول الله ﷺ «ذلك الدين القيم، أي المستقيم الذي لا زيف فيه ولا ميل عن الحق»^(٣٨) وقيمه أي مستقيمة تبين الحق من الباطل على استواء وبرهان^(٣٩). والقيمة: قيمة الشيء: قدره. والجمع قيم، ويقال ما لفلان قيمة: أي ماله ثبات وداوم على الأمر^(٤٠) والقيمة واحدة القيم^(٤١). أما مصطلح القيمة فانه ما يعلق عليه الإنسان أو مجموعة من الناس أهمية كبرى من قابليته ليكون مبدأ من مبادئ السلوك الأخلاقي أو الإيمان الديني أو الفلسفي ويكون هذا بطبيعة الحال شيئاً مجرداً ونسبياً في رأي البعض، مثال ذلك الحرية بوصفها قيمة من قيم حرية الفرد^(٤٢) يعني مفهوم القيمة الأخلاقية وما يدل عليه لفظ الخير بحيث تكون قيمة الفعل تابعة لما يتضمنه من كثير الخير فيه^(٤٣) كما وان مفهوم القيم يعني في كثير من الأحيان، مثل اجتماعي أعلى أو قيمة روحية^(٤٤). الخلق، الشخصية، مجموعة العادات والعواطف والمثل التي تميز الفرد وتجعل أفعاله ثابتة نسبياً ويمكن توقع صدورها عنه^(٤٥). والأخلاق هي تلك الصفات والأحوال التي يتصف بها الفرد أو الجماعة حميدة كانت أو ذميمة، وتعتبر الأخلاق من الصفات والسجايا التي تكون ملازمة لصاحبها، ويمكن للإنسان أن يقول إن التعبير بالمخالقة يفيد إن أخلاق الفرد وسلوكه قد تتحول وتتبدل من قبح إلى حسن، ومن حسن إلى قبيح، فالأخلاق هي التي تميز مكانة الأفراد والجماعات، والأمم والشعوب من حيث الرفع والوضع والسمو والخفض، ومن حيث البقاء والفناء، فما سميت أمة من الأمم إلا بعظيم أخلاقها، وما انحطت أمة من الأمم إلا بذيوم أخلاقها، وأن ساءت أخلاق أمة أو شعب من الشعوب فقد هوى إلى منحدر سحق، فالرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يقول ((الحمد لله الذي جعل خلقي وخلقِي))^(٤٦) فما من شك أو ارتياب إن الأخلاق الحميدة ترتقي بها الأمم وترتفع بها أقدارها، ويعز بها شأنها، ويهب جانبها، ويقوى سلطانها، وتكتسب السمعة الطيبة، والثقة المطلقة في التعامل في العقود والمواثيق، وبذلك تسعد أفرادها وتنمو مواردها، وتزدهر حياتها مما يكسب الفرد والجماعة، بل والامة بين الشعوب العالم حاضرهم وماضيهم، مسلمهم وغير مسلمهم تلك الخصائص الأخلاقية من صدق وأمانة وعدل وأنصاف وجد واجتهاد وحزم وعزم وعهد ووفاء ووعد وأنجاز، وبذلك يتمتع أهل تلك الصفات برفعة وعلو، وسيكتب لهم بإذن الله حسن الأحدثه وجميل الخلود والبقاء.

الفصل الثاني

حمية العرب وعصبيتهم

لقد كانت المجتمعات قبل الإسلام تسودها حمية نائرة، وعصبية هائجة تضطرب أواجها بالفتن، وتعج بالبلايا والمحن، إذ أنها لم تكن تحتكم إلى قانون ينظم حياتها، ولم تنصع للأنحة تخضع لضوابطها، فكانت حميتهم تنور لأدنى سبب من الأسباب وحروبهم تشتعل لأتفه الأمور^(٤٧) قرب بيت من الشعر يشعلها حرباً ضرراً يكون وقودها النساء والرجال والأطفال.

- (٢٨) فصلت: ٦.
- (٢٩) الطبرسي، مجمع البيان، ٤/٣.
- (٣٠) البينة: ٤.
- (٣١) الطبرسي، مجمع البيان، ٥٢٣/٩.
- (٣٢) البينة: ٦.
- (٣٣) الطبرسي، مجمع البيان، ٢٢٣/٩.
- (٣٤) ينظر: الجوهري، إسماعيل بن عمار، تاج اللغة (الصاح) تحقيق احمد عبد الغفور (القاهرة- ١٩٨٤م) ٢٠١٦/٥.
- (٣٥) مذكور، إبراهيم، معجم العلوم الاجتماعية (القاهرة- ١٩٧٥م) ص ٤٧٣.
- (٣٦) م.ن، ص ٤٧٣.
- (٣٧) البخاري، الصحيح، ص ٨١٦.
- (٣٨) م.ن، ص ٨١٦.
- (٣٩) ابن منظور، لسان العرب، مادة قوم ١٢٢/١٣.
- (٤٠) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (طهران- لا، ت) ٧٧٤/٢.
- (٤١) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: ٦٦٦هـ) مختار الصحاح (بيروت- ١٩٥١م) ص ٥٥٧.
- (٤٢) وهبه، مجدي وآخرون، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط ٢ (بيروت- ١٩٤٤م) ص ٣٠١.
- (٤٣) ينظر: صليبا، جميل، المعجم الفلسفي (بيروت- ١٩٧٣م) ص ٢١٢.
- (٤٤) ينظر: روزنتال، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، ومراجعة صادق جلال عظم وجورج بيشي (بيروت- ١٩٧٤م)، ص ٣٨١.
- (٤٥) مجدي وهبه، معجم المصطلحات، ص ١٢٦.
- (٤٦) ابن حجر، فتح الباري، ١٣ / ١٠٢.

فكان التعدي والتقول على الآخرين سمة مميزة لهذه المجتمعات وكان تَعَشَّقَهُم للظلم واستخفافهم بحقوق الآخرين ومظاهر حياتهم من أبرز صفاتهم، فبما ترى أي أخلاق هذه التي لم يُراع فيها حق الآخرين وحرمة الإنسان ومراعاة حقوقه ولو كان ذا قربي ، وأي عصبية هذه سولت لأصحابها إن يمنعوا من دخول دار الندوة مثلاً (وهي الدار التي بناها قصي بن كلاب ، لتكون مقراً للباحث والتداول في شؤون حياتهم من مختلف جوانبها) ^(٤٨) ألا لمن بلغ سن الأربعين ما لم يكن قرشياً فله دخولها ولو كان دون ذلك ^(٤٩) وأي عصبية هذه التي دعت أصحابها إن يمنعوا مصاهرة بعض القبائل من بعض ^(٥٠) أنها العنجهية التي حدثت بأصحابها إلى إن يوسعوا غيرهم هجاء وذماً واستخفافاً ، وإن يجعلوا لقبيلتهم فضل المحامد والمفاخر وقد نجد هذه الصور والتصديقات في كثير من أقوالهم وأشعارهم فالشعر ديوان العرب الذي يعكس كل ما هم عليه

(٤٧) الجميلي ، رشيد عبد الله ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط ١ (بيروت – ١٩٨٦م) ص ٩٣.

(٤٨) م . ن . ص ١٠٢.

(٤٩) العلي ، صالح احمد ، محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط ٢ (بغداد – ١٩٩٣م) ٩٦/٢.

(٥٠) الطريفي ، محمد علي ، حديث التقريب ، محاضرات من المؤتمر العلمي السابع للوحدة الإسلامية ، ط ١ (طهران – لا . ت .) ص ٣١٤.

معاملتهم واستبدادهم:

لقد كانت معاملة المجتمعات قبل الإسلام يسودها الظلم والاستبداد ، والهضم والاستعباد ، وتغطيها سحب قاتمة كقطع الليل المظلم ، وقد امتد استبدادهم بدخانهم المظلم على من حولهم كافة فاستبد الأقباء على الضعفاء والمحظوظون على البؤساء ، والأغنياء على الفقراء ، والأحرار على الأرقاء يسومونهم السخف والذل ، وكانت معاملة هؤلاء معاملة لا يقرها عرق ولا يرضاها ضمير ، فهذا أمية بن خلف من أكثر كفار قريش تعصباً لا لسبب يعذب مولاة بلالاً بن رباح (رضي الله عنه) فبالل يعذب في الله على يده لأنه آمن برسول الله (ﷺ) وبرسالته ونبوته وكذلك عمار بن ياسر هو وأبواه يعذبون على أيدي أسيادهم بلا رحمة ولا هوادة وهذا صهيب الرومي يجرد من ماله عندما اعتزم الهجرة لله ورسوله ولم يقف الأمر عند ذلك بل أمتد الظلم بحجمه المحرق إلى الأسرة وأفرادها ، فالمرأة تهضم حقوقها وتنتهك إنسانيتها ، وقد وصل الحد إلى وأد البنات أي دفنهن أحياء خوفاً من العار الذي قد يلحق بزوجها مستقبلاً ، وقال تعالى في محكم التنزيل ((وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)) ^(٥١) والمعنى هنا الجارية المدفونة وهي على قيد الحياة فإذا حان وقت ولادتها حفرت حفرة وقعدت على رأسها فان ولدت بنتاً رمت بها في الحفرة وإن ولدت غلاماً حبسته ، أن الموءودة تسأل فيقال لها بأي ذنب قُتلت ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لأنها تقول قُتلت بغير ذنب ^(٥٢) . كما إن المرأة تمنع من الميراث لأنه لا يكون إلا لمن يحمل السلاح وينازل الأبطال في ساحات الوغى والحرروب ^(٥٣) .

(٥١) التكويز : ٨ ، ٩.

(٥٢) الطبرسي ، مجمع البيان ، ١٠ / ٦٧٤.

(٥٣) الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت : ٤٥٠ هـ) الإحكام السلطانية والولايات الدينية (بغداد – ١٩٨٩م) ص ٤١٢.

وبعد كل ما ورد ذكره فعلينا أن لا ننسى سوء معاملة مشركي قريش في مكة مع الرسول الكريم (ﷺ) والمسلمين الأوائل ومقاطعتهم ، ولا يخفى على أحد تلك المعاملة التي تدل على جفاف الطبع وطغيان الظلم والاستبداد وانتهاك حقوق الإنسان ، والتي تتجافى مع أبسط القوانين الإنسانية ، والأخلاق التي كانت تصدر مثلاً عن أبي جهل وعمر بن هشام وأبي لهب وزوجته أم جميل (عليهم جميعاً غضب من الله) كما إن معاملة أهل الطائف (ثقيف) الذين أغروا سفهاءهم وعبيدهم وصبيانهم فرموا النبي الكريم (ﷺ) بالحجارة حتى سالت الدماء منه ^(٥٤) أنها أخلاق وسلوكيات لو لم يكن هناك شرع ينهي عنها أو دين يحذر من التخلق بها لكان العقل السليم ، والفكر القويم واقفاً ضدها منادياً بالابتعاد عنها ، وقد كانت هناك صيحات تنادي بالابتعاد عن مثل هذه الأخلاق ، وهناك عقلاء القوم الذين كان لهم دور مهم في تحذير الناس من أتباع هذه السلوكيات المتخلفة مثل قصي بن كلاب واحد من أشراف العرب قبل الإسلام وكان رجلاً صاحب فتوى ومستشار في قوم يستشيرونه في كل صغيرة وكبيرة ^(٥٥) وهناك أيضاً هاشم بن عبد مناف رجل التجارة في مكة ومشروع الإيلاف وواضع قوانينها فهو رجل ذو حكمة وبصيرة وصاحب مقام عالي في قومه ^(٥٦) كما إن عبد المطلب الجد الأول لرسول الله (ﷺ) وحاميه وكافل تربيته يعد من شيوخ العرب ورجال الحكمة والتدبير فيهم ^(٥٧) هؤلاء الذين تم ذكرهم هم أجداد النبي الكريم محمد (ﷺ) وأصحاب المقام الأول في الجزيرة العربية فلم الفضل في استقرار التجارة والحياة الاجتماعية والاقتصادية في كافة أرجاء الجزيرة العربية.

(٥٤) الطبري ، محمد بن جرير (ت : ٣١٠ هـ) تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق نواف الجـراح ، ط ١ (بيروت – ٢٠٠٣م) ٤١١ / ٣.

(٥٥) البلاذري ، أبو جعفر احمد بن يحيى بن جابر (ت : ٢٧٩ هـ) أنساب الأشراف ، تحقيق محمود الفردوس ، ط ١ (دمشق – ١٩٩٧م) ٦٤ / ١.

(٥٦) م . ن . ١ / ٨٧.

(٥٧) م . ن . ١ / ٩٢.

الفصل الثالث:

أخلاق المجتمع المسلم

نبدأ هنا بما عليه سلف الأمة من الأخلاق والسلوك الفردي: ولنبدأ بسيد الأخلاق ورمز كمالها، ثم ننثي بخيرة المسلمين السابقين في الإسلام، ونذكر هنا شيئاً عن خلق سيد أهل الكمال وما عليه من كريم الصفات، وجميل الخصال ليكون لنا القدوة الحسنة ونبراساً في جميع سلوكنا الفردي والجماعي. ولأجل أن نستمد منه الإشعاع الروحي، والقبس النوري فلا بد لنا من ذكر شذرات من أخلاقه النبوية العظيمة لنتزود منها بزاد طيب، وقبل ذلك كله نقول: أي شيء نذكره عن خلقه ودينه بعد قول الله عز وجل ((وَأَنْتَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ))^(٥٨) وقوله تعالى في رسوله الكريم (ﷺ) ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ))^(٥٩) والمعنى هنا أنه جاءكم رسول من أشرفكم ومن خياركم ومن جنسكم وهو البشير النذير الرسول الكريم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب من العرب، والخطاب هنا للعرب، وهو شديد عليه ما يلحقكم من الضرر بترك الإيمان، وهو (ﷺ) حريص على من لم يؤمن أن يؤمن كما أنه رؤوف شديد الرحمة على أقاربه وأوليائه^(٦٠). وتدل على ذلك تصرفات النبي الكريم مع أهله وأقاربه في دفعهم إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى وحرصه الشديد عليهم لكي ينفذهم من غضب الله ويرشدهم إلى طريق الإيمان والهداية والابتعاد عن أفعال الجاهلية وأعمالها المشينة التي كانت تعم أرجاء الجزيرة العربية

(٥٨) القلم: ٤.

(٥٩) التوبة: ١٢٨.

(٦٠) الطبرسي، مجمع البيان، ٥ / ١٤٨ - ١٤٩.

وقد كان الرسول الكريم (ﷺ) المثل الأعلى والقدوة المثلى في الصدق والأمانة حتى لقبه قومه بالصادق الأمين، كما كان (ﷺ) رمزاً عظيماً في الجود والكرم فكان أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، فقال (ﷺ) عن نفسه ((أدبني ربي فأحسن تأديبي))^(٦١) ورسول الله (ﷺ) ما سأله سائل قط فرده خائباً، فان كان عنده شيء أعطاه، وان لم يكن عنده أمره بالاقتراض وعليه الوفاء والسداد^(٦٢) وكان يقول (ﷺ) ((أنا أولى بكل مؤمن من نفسه فمن ترك مالاً فلأهله، ومن ترك ديناً أو ضريباً فعلي قضاؤها))^(٦٣) وقد قال عنه الباري سبحانه وتعالى ((النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم))^(٦٤) أي أن النبي (ﷺ) أولى بهم منهم بأنفسهم وهو أحق بتدبيرهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمهم على أنفسهم، وزوجات النبي للمؤمنين كالأمهات في المحرمة وتحريم النكاح^(٦٥). فشجاعته (ﷺ) يوم بدر وحنين كانت مضرب الأمثال وقدوة الأبطال من الرجال، فقد بدل الموقف من فر إلى كر، ومن شتات إلى ثبات، ومن هزيمة إلى نصر وهكذا ديدن رسول الله (ﷺ) في جميع ميادينه وحروبه ومغازيه فهو البطل الأثار الذي يمنح أصحابه القوة والثبات والصبر والظفر وهكذا يجب أن يكون القادة في المعارك، فالمقاتل ينظر إلى قائده في المعركة ويستمد العزيمة منه والقوة ومقارعة الفرسان في ساحات المعارك، وقد سار على نهج النبي هذا جميع أصحابه في قيادتهم للجيش العربية الإسلامية. وأما تسامحه وصفحه (ﷺ) فيتجلى لنا بكل وضوح في يوم فتح مكة مع قومه الذين أخرجوه من بلده ومسقط رأسه فريداً وحيداً وقد أظفره الله بهم يوم

(٦١) الهيثمي، مجمع الزوائد، ٨ / ٢٦.

(٦٢) م. ن. ٨ / ٢٦.

(٦٣) م. ن. ٨ / ٢٨.

(٦٤) الأحزاب: ٦.

(٦٥) الطبرسي، مجمع البيان، ٨ / ٥٣٠.

الفتح، ومكنه من رقابهم والقبض على أيديهم والاستيلاء عليهم فما كان من أمره إلا أن قال لهم كلمته الشهيرة التي يردها الزمان لتسمعها كل أذن ((وما تضمنون أنني فاعلٌ بكم؟ فalcوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: أقول لكم ما قال أخي يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم^(٦٦) اذهبوا فانتم الطلقاء))^(٦٧) ولنذكر أيضاً موقف حلمه (ﷺ) مع الإعرابي الذي جاء فوجده مضطجاً تحت ظل شجر وقد علق سيفه عليها فأخذ هذا الإعرابي السيف وقال للرسول (ﷺ): من يمنعك مني اليوم؟ فقال الرسول المعصوم: الله، فسقط السيف من يد الإعرابي، فأخذه رسول الله (ﷺ) ثم قال للإعرابي من يمنعك مني اليوم؟ فنأشده بحق القرابة والرحم أن يتركه فصيح عنه وتركه^(٦٨) وكذلك موقفه مع الرجل الذي جاء يتقاضاه ديناً فأخذه من تلايبه وجره حتى أثار الثوب في عنقه الشريف فهم أصحاب رسول الله (ﷺ) أن يأخذوه فمنعهم وأمرهم أن يعطوه خيراً من دينه^(٦٩). وإما خلق التواضع فيه (ﷺ) فقد بلغ في ذلك شأناً، فقد كان (ﷺ) يقول في دعائه: (اللهم أحبيني مسكيناً، وامتنني مسكيناً، واحشرنني في زمرة المساكين)^(٧٠) فسأل (ﷺ) عن كثرة ما يدعو بذلك فأجاب بقوله (لأن رحمة الله لا تفارقهم)^(٧١) فكان يقول (ﷺ) (أكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد)^(٧٢) كما أنه قال للرجل الذي أرسل إليه فوقف إمامه وارتعدت فرائضه: هون على نفسك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد، كما أنه لا يتميز عن جلسائه، ويجلس حيث ينتهي به المجلس تواضعاً منه في غير مذلة ويجيب دعوة الداعين، ويشارك الضعفاء في أمورهم وقضاء حوائجهم، ويقبل الهدية ولو كانت كراع شاة^(٧٣).

(٦٦) يوسف: ٩٢.

- (٦٧) ابن كثير ، عماد الدين أبو الفدا ، إسماعيل بن عمر (ت : ٧٧٤ هـ) السيرة النبوية ، تحقيق احمد هاشم وآخرون.(بيروت ١٩٨٨م) ١٦/١ .
 (٦٨) ابن كثير ، السيرة النبوية ، ١ / ٨٦ .
 (٦٩) م . ن . ، ١ / ٩٢ .
 (٧٠) ابن حجر ، فتح الباري ، ١٣ / ١٠٢ .
 (٧١) م . ن . ، ١٣ / ١٠٦ .
 (٧٢) م . ن . ، ١٣ / ١٠٦ .
 (٧٣) ابن كثير ، السيرة النبوية ، ١ / ٩٧ .

وإما اخلاق سلف امتنا من خيرة أهل القرون سواء كان ذلك من ناحية الخلق الفردي أم الجماعي فأولئك هم من الذين قال عنهم رسول الله (ﷺ) : ((خيركم قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم))^(٧٤) وقد قال (ﷺ) في أصحابه ، وقرنهم خير القرون ((الله الله في أصحابي لا تتخذونهم غرضا بعدي لو أنفق أحدكم مثل جبل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ونصيفه))^(٧٥) . فهذا أبو بكر (رض) يمدحه الرسول (ﷺ) بلين الجانب ((أبو بكر كإبراهيم ألين من اللين))^(٧٦) وهذا عمر بن الخطاب (رض) يمدحه الرسول الكريم (ﷺ) ((عمر كنوح اشد من الحجر))^(٧٧) وذلك لقوته في الحق ، وهذا سيدنا عثمان (رض) يمدحه الرسول (ﷺ) بخلق الحياء ((ألا استحي من رجل تستحي منه ملائكة الرحمن))^(٧٨) وهذا علي بن أبي طالب (عليه السلام) رابع الخلفاء يمدحه النبي (ﷺ) بقوله ((أقضاكم علي بن أبي طالب))^(٧٩) والقضاء عدل وأنصاف ، فأبي خلق أعظم من العدل يتخلق به أهل الحكم والقضاء ؟ وناهيك ما جاء في مدحهم في القرآن الكريم إذ قال سبحانه وتعالى : ((محمد رسول الله والذين معه – أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فأزهره فاستغلت فاستوى على سوقه ، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصلحت منهم مغفرة وأجرًا عظيماً))^(٨٠) والمعنى هنا الرسول الكريم محمد (ﷺ) ومن معه من المؤمنين المسلمين أشداء ، والتراحم بينهم يصل إلى حد أن يرى مؤمن مؤمناً إلا صافحه وعانقه .

- (٧٤) القرشي ، مكارم الأخلاق ، ص ٢٦ .
 (٧٥) الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ٨ / ١٦ ؛ ابن حجر ، فتح الباري ، ١٣ / ٢٨ .
 (٧٦) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢١١ .
 (٧٧) م . ن . ، ص ٢٢٦ .
 (٧٨) م . ن . ، ص ٢٥٣ .
 (٧٩) م . ن . ، ص ٢٧٨ .
 (٨٠) الفتح : ٢٩ .

كما ذكر في قوله تعالى كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها ، حتى ظهرت علاماتهم على وجوههم أي علامات يوم القيامة ، وقد ذكر وصفهم في التوراة والإنجيل تلك الكتب السماوية المنزلة على سيدنا موسى وسيدنا عيسى (عليهم السلام) والمعنى هنا كمثل الزرع أخرج شطئه حتى صارت مثلاً أي غلظ ذلك الزرع أي قام على قصبه وأصوله فاستوى الصغار مع الكبار ، والزرع هنا محمد (ﷺ) والشطأ أصحابه والمؤمنون حوله وكانوا في ضعف وقلة كما يكون أول الزرع دقيقاً ثم غلظ وقوي فكذلك المؤمنون قوى بعضهم بعض فوعدهم الله سبحانه وتعالى ثواباً جزيلاً دائماً^(٨١) . وإما اخلاق سلفنا الصالح من الأمة من حيث الشجاعة والإقدام ، ومن حيث الأريحية والسخاء ومن حيث الجد والعفاء . والصفا والتسامح والحلم والتواضع فهناك نماذج لا يسع المجال هنا لذكرها . فهذا الإمام أبو حنيفة النعمان له جار يهودي اسكافي يصنع الأحذية ويعاقر الخمر طوال ليله فيتعهد هذا اليهودي فتح مجرى داره ليصب الفدر على دار أبي حنيفة ويظل عامة ليله يحتسي الخمر ، حتى انقطع صوته يوماً فلم يسمعه أبو حنيفة فسال عنه فقيل له : قبض عليه الشرطي وسجنه لخروجه يشتري معدله من السمك والشراب ليلاً وفي وقت متأخر ، فذهب أبو حنيفة إلى صاحب السجن ليسال عنه ، فأطلق سراحه بقدوم أبي حنيفة ، وأطلق سراح من قبض عليه في تلك الليلة إكراماً لأبي حنيفة ، فيأخذ أبو حنيفة بيد اليهودي ويقول له لقد افتقدناك في هذه الفترة وسألنا عنك ، فكان ذلك سبباً لإسلام اليهودي ودخوله في دين الله^(٨٢) ومن لهم هذه الأخلاق في الأمة الإسلامية لا يستطيع قلم وكاتب أن يحصيهم عدداً أو أن يبلغ بهم حداً ، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله وحسبنا من القلادة ما أحاط بالعنق .

- (٨١) الطبرسي ، مجمع البيان ، ٩ / ١٩٢ .
 (٨٢) النويري ، محي الدين أبي زكريا (ت : ٦٧٦ هـ) مختصر طبقات الفقهاء ، تحقيق عادل عبد الموجود و علي معيوف ، ط (بيروت – ١٩٩٥) ص ١٨١ .
 الأخلاق الاجتماعية :

وتتنصوي تحتها هذه العناصر من الأخلاق: التعاون – المواساة – التكافل – الاهتمام بأمور المسلمين. مما سبق ذكره من الأمثلة لأمتنا سلفها وخلفها يتوجب علينا أن نقف عنده ملياً وان نستوضحه جلياً لنستشعر بذلك هذه الأخلاق العالية للمسلمين والقيم السامية التي كانت سمة مميزة لهذا الرعيل من أجيال مجتمعنا المسلم لنتزود منها بخير زاد في دنيانا التي نعيشها وليوم الميعاد ، ولنستعين بها في مسارنا إلى طريق الهدى والصلاح ، والفوز والنجاح . وانه ليتحتم علينا أن نتخذ أخلاقنا الاجتماعية سبيلاً الى التعاون بيننا في جميع شؤوننا وكل مظاهر حياتنا فيعين قلوبنا ضعيفنا ، ويساعد غنيا فقيرنا ويتفقد صحيحنا مريضنا ، ويعلم عالمنا جاهلنا ونحن مطالبون بمد يد العون فيما بيننا بأمر الله عزوجل حيث يقول الله تبارك وتعالى : ((وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا

على الإثم والعدوان))^(٨٣) والتعاون على البر أي العمل الصالح والتقوى أي العبادة وينهى الله سبحانه عن التعاون على العمل الفاحش الذي يؤدي إلى نشر العدوان ، التناحر بين المسلمين^(٨٤) ويقول الرسول الكريم (ﷺ) : ((الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه))^(٨٥) كما انه يجب علينا مواساة بعضنا لبعض عند نزول الكوارث والمحن ، وحلول النوائب والفتن فلا نقف عن أبناء جلدتنا وعقيدتنا مكتوفي الأيدي ، وعلينا أن نقدم كل ما نستطيع من الدعم المادي والمعنوي لمن يمر بهذه النوائب كما يجب أن يعمل المسلمون على الإصلاح بينهم إذا ما حصل خلاف بين طائفتين منهم وقال تعالى : ((وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما))^(٨٦)

(٨٣) المائدة : ٢.

(٨٤) الطبرسي ، مجمع البيان ، ٦ / ٣١١.

(٨٥) الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ٤ / ٩٨.

(٨٦) الحجرات : ٩.

أي إذا ما حدث شجار ونزاع بين طائفتين من المسلمين فلا تقفوا مكتوفي الأيدي وتكتفون بالنظر إليهم فقط بل اعملوا على الإصلاح بينهم^(٨٧) وإيقاف نزف الدم بين المسلمين أمر واجب على العلماء من رجال الدين والمثقفين من أبناء المجتمع ، فالأخلاق الحميدة والتكافل بيننا في مهام الحياة كلها يجمع شمل الأمة ويجلب ما يسعدها في جميع المرافق التي تعز أفرادها وتلم أشناتها ، وتملي علينا أيضا أخلاقنا الاجتماعية وعقيدتنا الدينية الاهتمام بأمور المسلمين في كل حذب وصوب في الحرب والسلم ، وفي الشدة والرخاء ، والامتحانات والبلاء فمن أصبح لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم^(٨٨) . ونحن الآن في وضعنا كمسلمين نرى ما يتنافى مع الأخلاق التي شرعها لنا الدين واراها لنا رب العالمين – يظهر ذلك ويتضح من غض الطرف عن الاهتمام الواجب نحو إخوة الإسلام – وغض الطرف من شعوب بأكملها حكماً ومحكومين لهم من الظروف المتاحة والفرص المهيأة ما يمكنهم به أن يحركوا ما سكن بنفوسهم وان يحيوا هذه الأخلاق الاجتماعية الرائدة في قلوبهم بحيث تكون عاملاً لهم لتخفيف ويلات الحياة التي يعيشها غيرهم من إخوانهم الذين عضتهم أنياب العوز والحاجة وألهمت ظهورهم قسوة الحياة ، وتكالب عليها الأعداء من كل جانب بغير رحمة ولا هوادة ونحن نرجو من أبناء الأمة الإسلامية أن يناشدوا ضمائرهم ، وان يحكموا عقولهم ويتناسوا عواطفهم وما وقر في صدورهم لسبب أو لآخر ، فأخلاقنا الدينية والاجتماعية والتأسي بسلوك أسلافنا وديننا الحنيف يناشدنا أن نكون كما أرادنا ربنا أخوة متحابين متعاونين متناصرين متكافلين مهتمين بشؤون المسلمين في كل وقت وجهة وفي كل بلد وقطر من أهل عقيدتنا الدينية وعلى الله قصد السبيل.

(٨٧) الطبرسي ، مجمع البيان ، ٩ / ١٣٣.

(٨٨) الطريفي ، حديث التقريب ، ص ٣٢.

الخاتمة

الحمد لله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه وترتيبه وأدب نبيه محمد (صلى الله عليه واله وسلم) فأحسن تأديبه وأهدى إلى التخلق بأخلاقه من أراد تهذيبه وأبعد عن التخلق بأخلاقه من أراد تخييبه. لقد أثبتت الدراسات العلمية والتاريخية على مر العصور إن من أكثر ما يضعف المسلمين ويشتت وحدتهم ويمزق صفهم هي الخلافات الداخلية بينهم والاضطرابات والفتن التي تحدث بين الشعوب الإسلامية وقد أكد ذلك فلهو زن في مقولته (إن من أكثر ما يضعف العرب المسلمين ويبدد قواهم الصراع الداخلي فيما بينهم فهو نقطة الضعف فيهم فأن قضوا عليه ثبتوا لأداء رسالتهم في الحياة) . وعلينا أن نأخذ من سلفنا عبرة ومن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) دروساً بليغة في جمع الكلمة ووحدة الصف ، فهذا الإمام أمير المؤمنين الحسن بن علي (عليهم السلام) يسكت عن حقه في الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان عام ٤١ هـ حقننا لدماء المسلمين التي قد تراق على ساحة المعركة إذا ما حدث قتال بينهما ، وهذا الحرص على أرواح المسلمين من قبل الإمام الحسن بن علي (عليهم السلام) درساً يدعونا إلى نبذ خلافاتنا وأحقادنا والوقوف صفا واحداً لردع كل المؤامرات التي تحاك ضد وحدتنا وديننا وقد سمي ذلك العام إزاء موقف الإمام الحسن هذا (عام الجماعة) فهل بنا أيها المسلمون في كل أرجاء العراق ليكون عامنا هذا عام جديد لجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قائمة المصادر والمراجع

١/ القرآن الكريم

* ابن حجر ، شهاب الدين أبي الفضل العسقلاني (ت : ٨٥٢ هـ)

٢/ فتح الباري بشرح البخاري ، ط١ (مصر – ١٩٥٩ م)

* ابن عبد ربه ، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت : ٣٢٨ هـ)

٣/ العقد الفريد ، ط١ (مصر – ١٣٧١ هـ)

* ابن كثير ، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤ هـ)

٤/ السيرة النبوية ، تحقيق أحمد هاشم وآخرون (بيروت – ١٩٨٨ م)

* ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم (ت: ٧١١ هـ)

- ٥/ لسان العرب (بيروت - ١٩٥٦م)
 * / البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ)
 ٦/ صحيح البخاري (بيروت - ٢٠٠١م)
 * / البلاذري ، أبو جعفر أحمد بن يحيى بن جابر (ت: ٢٧٩هـ)
 ٧/ كتاب أنساب الأشراف ، تحقيق محمود الفردوسي ، ط١ (دمشق - ١٩٧٧م)
 * / الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)
 ٨/ البيان والتبيين ، تحقيق وشرح حسن السندوبي ، ط١ (القاهرة - ١٩٤٧م)
 * / الجرجاني ، علي بن محمد بن علي (ت: ٨١٦هـ)
 ٩/ التعريفات ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، ط١ (بيروت - ١٤٠هـ)
 * / الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: ٦٦٦هـ)
 ١٠/ مختار الصحاح (بيروت - ١٩٥١م)
 * / السيوطي ، جلال الدين بن عبد الرحمن (ت: ٩١١هـ)
 ١١/ تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط١ (مصر - ١٣٧١هـ)
 * / الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن (ت: ٥٦٠هـ)
 ١٢/ مجمع البيان في تفسير القرآن ، تحقيق محمد هاشم أرسولي وفضل الله الطباطبائي ، تركه المعارف الإسلامية (بغداد - لا.ت)
 * / الطبري ، محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)
 ١٣/ تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق نواف الجراح ، ط١ (بيروت - ٢٠٠٣م)
 * / الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد (ت: ٥٠٥هـ)
 ١٤/ أحياء علوم الدين (دمشق - لا.ت)
 * / الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ)
 ١٥/ القاموس المحيط ، ط٥ (مصر - ١٩٥٩م)
 * / القريشي ، عبد الله بن محمد بن أبي بكر (ت: ٢٨١هـ)
 ١٦/ مكارم الأخلاق ، تحقيق مجدي السيد إبراهيم ، ط١ (القاهرة - ١٩٩٠م)
 * / الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت: ٤٥٠هـ)
 ١٧/ الأحكام السلطانية والولايات الدينية (بغداد - ١٩٨٩م)
 * / المرزوقي ، أبو علي أحمد محمد بن الحسن (ت: ٤٢١هـ)
 ١٨/ شرح ديوان الحماسة ، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون ، ط١ (القاهرة - ١٩٥١م)
 * / المقدسي ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت: ٦٦٥هـ)
 ١٩/ الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق إبراهيم الزبيق ، ط١ (بيروت - ١٩٩٧م)
 * / النبهاني ، يوسف بن إسماعيل (ت: ١٣٥٠هـ)
 ٢٠/ جامع كرامات الأولياء ، تحقيق إبراهيم عطوه ، ط١ (مصر - ١٩٦٢م)
 * / النويري ، محي الدين أبي زكريا (ت: ٦٧٦هـ)
 ٢١/ مختصر طبقات الفقهاء ، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معيوف ، ط١ (بيروت - ١٩٩٥م)
 * / الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر (ت: ٨٠٧هـ)
 ٢٢/ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، تحرير ابن حجر ، ط١ (القاهرة - ١٣٥٣هـ)

قائمة المراجع :-

- * / إبراهيم مصطفى وآخرون
 ٢٣/ المعجم الوسيط (طهران - لا.ت)
 * / أجملي ، رشيد عبد الله
 ٢٤/ تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط١ (بيروت - ١٩٨٦م)
 * / الجوهري ، إسماعيل بن عمار
 ٢٥/ تاج اللغة (الصحاح) تحقيق أحمد عبد الغفور (القاهرة - ١٩٨٤م)
 * / روزنتال
 ٢٦/ الموسوعة الفلسفية ، ترجمة سمير كرم ، مراجعة صادق جلال العظم وجورج بيشي (بيروت - ١٩٧٤م)
 * / زيدان ، عبد الكريم
 ٢٧/ أصول الدعوة (بغداد - لا.ت)
 * / صليبا ، جميل
 ٢٨/ المعجم الفلسفي (بيروت - ١٩٧٣م)
 * / أطريفي / محمد علي
 ٢٩/ حديث التقريب ، محاضرات من المؤتمر العلمي السابع للوحدة الإسلامية ، ط١ (طهران - لا.ت)
 * / العلي ، صالح أحمد

- ٣٠/ محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط٢ (بغداد – ١٩٩٣م)
*/ مجدي وهبه وآخرون
٣١/ معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، ط٢ (بيروت – ١٩٤٤م)
*/ مذكور ، إبراهيم
٣٢/ معجم العلوم الاجتماعية (القاهرة – ١٩٧٥م)